ثلاث ليالي

أحمد الهلالي

الليلة الأولى

شعور لا إرادي بالرعشة كان يجتاح عصام، ما جعله يستيقظ في حالة من الرعب و الهلع. هل ما رآه حقيقي؟ هل بالفعل ما شعر به قد حدث أم أنه كان فقط من وحي كلامه مع سعيد؟
حسناً قد يكون كلامي ذات لا معنى الآن، لذا فلنعد عدة أيام فقط للوراء...

كان اليوم هو مساء يوم الأربعاء، و كعادته كان عصام ينهي عمله و يتجه لمقهاه المفضل ليلتقي بأصدقائه. كان لقائهم من طقوسهم اليومية، أن يذهب لهناك جميع الأصدقاء، يتسامرون و يطلقون العديد من النكات يتخللها بعض من فلسفات سعيد التي كانت تلقى حظها من الإستهزاء و السخرية. فسعيد و عصام صداقتهم تعود لأعوام كثيرة ماضية، إلا أنهم كانا نقيضين. فعصام يؤمن بعدم وجود أي شيء مثل الأرواح و دائماً ما يسخر من كلام سعيد عن تلاقي الأرواح و الماورائيات، فقد كان سعيد كان من محبي نظرية الأبعاد الأخرى، و علم الطاقة و الروحانيات و بالطبع بوابة ١١:١١ و ما تحمله من علامات و دلالات. في تلك الليلة كان كل حديثه منصب على نقطة واحدة، و هي أنه خلال يومين بالضبط ستحدث ظاهرة القمر الدامي و سيكون واضح تماماً في سماء القاهرة. ظل يتحدث كثيراً على تأثير هذة الظاهرة على الناس.
و في الليلة التي كان من المفترض ظهور هذا القمر فيها لم يستطع عصام منع نفسه من تذكر كلماته و السخرية منها.
" يا عم فكك، بطل خرافات النجوم و الدجل دا أبوس أيدك، والله هتتلبس يا منيل "
قليلاً ما كان يعلم عصام بإن هذا اليوم بالتحديد قد يشكل فارق بالنسبة له.

"القمر الدامي مش لعبة و مش هزار يا عصام " قالها سعيد بهدوء.
"دا علم طاقة و ما ورائيات و مربوط بيه أرواح ناس و مصائر ناس كتير، و المرة دي القمر الدامي ثلاث ليالي ورا بعض مش ليلة واحدة " كانت تلك كلمات سعيد حين بدأ عصام في السخرية من حقيقة القمر الدامي.
"و طبعاً في دم كتير و ناس هتموت و النداهة بتاعة الفلاحين هتنادي و كدا صح؟ " قالها عصام و هو يضحك حتى كاد يقع من كرسيه.
أرتسمت أبتسامة على وجهه و هو يتذكر تعبيرات وجه سعيد و هو يتحدث عن هذا القمر و خواصه و ما يحمله من أبواب كثيرة لإبعاد كثيرة.
"عصام، نصيحة مني لو بتثق فيا، أوعى تتحداه، أوعى تبصله مباشر في عينه، صدقني بصته ليك سحرها أقوى من النداها بتاعة الفلاحين اللي بتتريق عليها. "
"بص يا عصام، أنا هقولك حاجة واحدة بس، محدش عنده علم الكون ماشي إزاي. بس الأكيد إن علم الطاقة مش دجل و مش خرافات. صحيح في ناس بتستخدمه غلط، بس دا مش خطأ العلم دا... الكون أسرار و أبواب مقفولة كتير، محدش عارف لو فتحت الباب الغلط هيحصل أيه. "
ضحك عصام و قال له
"نسيت إنك من بتوع العوالم الموازية، و عوالم شارع الهرم الأتنين واحد "

لم يكن عصام من المؤمنين بفكرة الخوارق بأي شكل من الأشكال، صرف عن تفكيره كلام سعيد في تلك الليلة، إرتدى ملابسه و قرر القيادة قليلاً في الشارع لعله يجد ما يقتل به ذلك الملل.
بدأ بالقيادة دون تحديد وجهة محددة، فقط قتل الوقت. حين نظر أمامه كان القمر مكتمل لانه كان اليوم ١٣ من الشهر العربي، مفعم بحمرة لم يرها من قبل، تذكر كلمات سعيد و ضحك و هو يقول.
"ها؟ فين أبعادك؟ فين العوالم التانية؟ فين سحرك و نداهتك؟ "
ثم ضحك و ظل يضحك حتى سكت من تلقاء نفسه و عينه على القمر لا يستطيع صرفهم عنه، مهما حاول التركيز في الطريق سحبته عيناه له، حتى إضطر أن يوقف السيارة و يسرح فيه. نظر للساعة و كانت تحولت للتو الى ١١:١١، غلبه النعاس أو هكذا ظن...
حين إستيقظ و كان كعادته أول نا يفعل يذهب للحمام ليغسل وجهه، رأى نفسه بشكل غير شكله و صورة تعكسها المرآة ليست التي عهدها عن نفسه، يعلم أنه هو، لا يعلم كيف عرف هذا، لكنه يعلم.
نظر حوله و كان يسكن في منزل يعرفه بكامل تفاصيله، من مفتاح الإضاءة إلى درج الشرابات، و من مكان الأكواب إلى الرموز السرية لباب شقته، لكنها ليست الشقة التي تركها منذ دقائق و نزل، و ليس هذا هو الجسد الذي خرج به.

لم يكن الأمر كالحلم، حسناً من الطبيعي أن يكون حلماً، إلا أنه كان على شبه يقين بأنه واع تماماً و أنه لا يحلم، فقط هو في مكان غير المكان و بجسد غير جسده. سار و هو عار القدمين حتى وصل إلى النافذة. كانت عبارة عن لوح زجاجي كامل من السقف و حتى الأرض، و من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار. وقف يتأمل المنظر من شقته العلوية، تلك التي لم يمتلكها قط، بجسده العاري من أعلاه. ذلك الجسد مفتول العضلات الذي لم يكن يوماً له. كان يتأمل منظر القمر المكتمل و هو محمر اللون، ليس كحمرته قبل أن يخلد للنوم، كان لونه مثل قطعة القماش التي تنظر لها من باطنها و ليس وجهها.

تحول الأمر و زادت حيرته حين وجد أنه ليس بمفرده في الشقة، شعر بخطوات تقترب من خلف. قبل ان يستطيع ان يستدير شعر ببرودة أصابع تمر من اسفل رأسه و حتى أسفل ظهره، ملمس سلس و أنفاس حارة على رقبته. لم يستعجب الأمر حين إستدار و كانت تقف أمامه، ساحرة بشعر أحمر داكن، عينين سوداتات صغيرتان، أنف صغير، جسد ممشوق و قوام طويل، برونزية البشرة لا ترتدي إلا بنطال فضفاض و حمالة صدر.
"مرديتش اصحيك لحد ما تصحى لوحدك، الساعة ٧، يلا كفاية كسل بقى "
"أنا جيت هنا إزاي؟ أنا أزاي عارفك كويس و عارف ان اسمك ميار و عارفني و عارف البيت، بس دا مش أنا، دا مش عصام الصياد. "
ضحكت بشدة و دلع كبير قبل أن تجيب " أنا مش عارفني، انا توت مني، انا مش أنا "
" ميار لو سمحتي مش طالبة تريقة، انا مش فاهم حاجة، انا قبل ما أنام كنت في عربيتي عادي جداً كنت في جسمي العادي اللي أكيد مش دا، و مؤكد مكنش معايا انتي في البيت دا، هو في أيه؟ "
"في بس انك أكيد كنت بتحلم بكابوس أو حاجة يا حبيبي، أو رجعت تضرب تاني، "
قالتها و هي تضحك
" أستهدى بالله كدا و غير هدومك يلا و انا ثواني و أكون لبست و ننزل نسهر "

إختفت هي في الغرفة لتبدل ثيابها و ذهب هو للحمام عقله لا يتوقف. لا بد أنه يحلم، بالتأكيد هو حلم سيستيقظ منه في أي وقت الآن، توقف كثيراً عند حقيقة أنه خلد لنوم ١١:١١ و الساعة الآن ٧، مما يعني انه بالتأكيد يحلم. غسل وجهه ببعض الماء البارد ثم نظر للمرآة و قال لنفسه
" لو حلم خليني أعيشه، و لو كنت في الأول بحلم يبقى أعيش الواقع دا ".
إرتدى بدلته السوداء وقميصه الأزرق، وضع عطره النفاذ و إرتدى حزائه ثم نادا على ميار، زوجته التي يتذكر كل تفاصيل زواجهم، بالتأكيد السابق كان حلم و هذا هو الواقع، كيف له أن يعلم كل التفاصيل لو لم يكن هذا هو الواقع؟ يقولون أن في الحلم لا يتذكر المرء كيف وصل لمكانه، لكنه يتذكر، كان في عمله و عاد لوجبة عشاء بالمنزل من إعداد ميار ثم خلد للنوم، إذا هو ليس بحلم.
قاطعت ميار أفكاره حين خرجت من غرفتهم مرتدية فستان فضي قصير يبرز مفاتنها، وتعدل رباط حذائها.
"هتخرجينا فين؟ " قالها و على وجهه علامات البسمة، لم يرها بهذا الجمال منذ تعاركا بسبب تأخره في العمل دائماً.
" سيبلي نفسك بقى، النهاردة أنا هنسيك حلمك اللي ملخبطك دا، و ممكن كمان أنسيك نفسك "
ضحكت بشدة و شعر هو بضحكة لا إرادية تخرج منه.
لم يستطع أن يمنع نفسه من تأملها و هم بالسيارة، تلك السيارة المرسيدس التي يعلم كل شيء عنها، إلا انها من جديد ليست السيارة التي كان ستقلها منذ قليل. ظل ينقل نظره بينها و هي تقود، و بين القمر، الذي مازال محمر اللون لكنه ليس مثل المرة السابقة في الحلم.
مرت السيارة بين العديد من الشوارع حتى توقفت أمام بار جونيز, حينها هرع الموظف المسؤل عن استلام السيارات من النزلاء، حياه و أخذ منها المفتاح و نفحة جيدة، كان يعرف سيارة عصام من زمن بعيد، و يعلم كم هو كريم معه.
"مستر عصام، مدام ميار، حمدالله على سلامتكم. الطرابيزة جاهزة "
من جديد شعر عصام برعشة سرت في جسده معه تبضات صداع، شعور يجتاحه بشيء شبيه بالديجافو لكنه مختلف، هو يعلم الأماكن و الأشخاص لكنه لم يعش تلك التجارب من قبل أو عاشها و لا يتذكر. هو شعور ما بين الديجافو و تجربة الخروج من الجسد (Out of body experience). هي حياة عادية جداً لعصام الصياد هذا، لكن لعصام الصياد الذي كان يقود السيارة في ما يعتقد انه حلم، هي حياة ترف.
ارتطم اثناء سيره بطاولة أمامه، و إعتذر منهم. إلا أنهم نظروا له و حيووه كأنهم يعرفونه من زمن.
" Nothing happened senior Esam, its ok"
"ميار، أنا حاسس ان فيا حاجة غلط " قالها عصام و هو مسك بيدها و ينظر لها بكل ضعف.
"حبيبي، انت بس شكلك تعبان قوي، و وانت نايم شكلك كنت بتحلم حلم لخبطك شوية، و متنساش النهاردة أيه و القمر إزاي و كمان التاريخ، و انت عارف تأثير دا عليك اوقات بيبقى عامل ازاي. " ثم وقفت و انحنت تجاهه و طبعت قبلة خفيفة على شفتيه.
"انا النهاردة طالبالك الأكل من الصبح و مظبطا كل حاجةحتى البلاي ليست مارسيل عارفها من الصبح ، إعتبرها يا سيدي مصالحة مني ليك و إعتذار عن إمبارح، مع ان انت برضه زودتها معايا حبتين، بس انت حبيبي و روحي. انت الليل و سماه، و نجوموا و قمرو... ممكن أكمل أم كلثوم عادي... بحبك "

لم تمر كلماتها عليه مرور الكرام، كان يشعر بأنه بحاجة لسماع كلمات الحب و العطف، كان ينظر لها و يرى ذلك الحب الموجود في عينيها و هو يعلم كم هو صادق. لم يقطع كلامهم غير مجموعة أصدقاء إقتربوا منهم و قام أحدهم بوضع يديه على كتف عصام

"أستاذ عصام، ممكن صورة؟ "

بالطبع وافق عصام و أخذ الهاتف من يد الشاب ليلتقط لهم الصورة، الا انه فوجيء بميار تأخذ منه الهاتف و تبتسم للشباب و قالت لهم ان عصام دائم المزاح هكذا، لم يكن عصام يدرك انهم يريدون ان يكون هو في الصورة.

" من نجاح لنجاح يا مستز عصام، و ياريت نشوفلك روايات أكتر تتعمل أفلام "

" صح كدا، أنا كاتب عالمي " قصد عصام آن يحدث بها نفسه لكن خانه صوته و سمعته ميار.

"عصام انا عاوزة أتكلم معاك في حاجة "

قالتها ميار و على وجهها علامات الصدق و الجدية في الكلام

"انت عارف اني بحبك، و انك في نظري أحسن مؤلف في الدنيا. انا واثقة من ترشحك للأوسكار السنة دي فعلاً و عاوزاك واثق انت كمان. انت عملت إنجاز محدش عمله قبلك من جيلك، إفرح بيه و أستمتع، متقلقش "

ثم سحبته من يديه لمنتصف المكان، وضعت يديها حول عنقه و بدأ جسدها في التمايل. لا يستطيع تذكر متى كانت أخر مرة رقص فيها، مؤكد من فترة كبيرة...

ثم سقط أرضاً و بدأت الدنيا تدور من حوله و هو يسقط حتى شعر برأسه ترتطم بالأرض الصلبة، و حين إستيقظ صعق مما رآى.

الليلة الثانية

لا يمكن أن يكون قد مر على سقوطه و فقدانه للوعي أكثر من دقائق، إلا أن المشهد الذي كان ينتظره كان كفيل بأن ينتفض من مكانه. وجد نفسه في جسده المعتاد، لكن في مكان غريب. أرض سوداء و محيط فضاء كبير من حوله في كل مكان، و باب خشبي بإطار خارجي أبيض و إطار داخلي ذهبي.
كان المكان خالي من أي ضوء إلا إضاءة خافتة فوق الباب الخشبي،
لم يستطيع عصام منع نفسه من السير إلى الباب و تلقئياً فتحه. كان المشهد خلفه لا يختلف عن قبله، نفس السواد الكبير. إلا أنه بعدما عبر أُغلق الباب بشدة من تلقاء نفسه، و كان المشهد حابس للأنفاس بالنسبة له. كان الأمر بمنتهى البساطة، مع تحديد معنى جديد كلياً للبساطة.
كان هناك شيء كالقمر في منتصف الغرفة، محمر اللون، مضاء من الداخل لكن ليس له ضوء خارجي و من حوله العديد من الأبواب، بالتحديد ١١ باب فوق كل منهم ضوء خافت ينيره فقط. نعم لقد أحصاهم جميعاً و هو يدور من حوله هذا الشبيه بالقمر إن لم يكن هو.
" خلاص كدا أنا أكيد بحلم " قالها لنفسه بعد رؤية هذا المشهد
" مفيش حد بيحلم بيبقى عارف أنه بيحلم " سمع الصوت من داخله هو، لم تتحرك شفتاه، و كأن عقله صار له صوت و لسان يتحدث به. كان الأمر بمثابة فيلم خيال علمي ثلاثي الأبعاد.
" أشوف فيك يوم يا سعيد الكلب، ما هي دي دماغ حشيش أكيد، يا كدا يا أنا إتجننت والله "
بعد الكثير من الوقت في محاولة إيقاظ نفسه أو البحث عن مفر، وجد أنه لا مفر إلا تجربة أي من الأبواب التي أمامه. لم تأخذه حير أي الأبواب يختار، فعنده المعطيات واحدة، أنه لا يوجد دليل على مكانه و إنعدام سيطرته على كل شيء. حين إقترب من دائرة الأبواب بدأت في الدوران سريعاً حول القمر الأحمر الذي يتوسطهم، ظلوا يدوروا حوله حتى إقترب عصام منهم جداً حتى كاد أن يصدمه واحد منهم. هنا توقفوا جميعاً عن الدوران و مع حركة يد عصام ليمسك بمقبض الباب كان الضوء الصادر من القمر يزداد قوة، حتى أمسك الباب و فتحه.
ضربات قلبه كانت سريعة جداً و متخبطة.
"القمر الدامي مش لعبة و مش هزار يا عصام، دا علم طاقة و ما ورائيات و مربوط بيه أرواح ناس و مصائر ناس كتير، و المرة دي القمر الدامي ثلاث ليالي ورا بعض مش ليلة واحدة " لا يعلم لماذا تذكر كلمات سعيد الآن. " أوعى تتحداه " ظلت كلمات سعيد تتردد في أذنه و هو يتذكر كلماته للقمر و هو ينظر له أثناء القيادة.
"ها؟ فين أبعادك؟ فين العوالم التانية؟ فين سحرك و نداهتك؟ "
" الله يخرب بيتك يا سعيد و يخرب بيت معرفتك الهباب. " كان يحاول تهدئة نفسه بأي وسيلة ممكنة لكن لم يسعفه الحظ، فبمجرد أن فتح الباب حتى رأى سواد مثل الذي فيه هو الآن، و شعر بشيء يسحبه من الداخل. قبل أن يدرك كان يسقط طويلاً، ثم إرتطم بالأرض، و غاب عن الوعي...

إستيقظت ناديا على صوت هاتفه المحمول يرن بشكل هستيري، كلما إنتهي بدأ من جديد. ثلاث مرات كانت تحاول خلالهم القيام من مكانها على الفراش فقط لتسكت ذلك الهاتف الذي لا ينفك يصمت حتى يبدأ من جديد.

" أكيد في مصيبة " قالتها ناديا و هي تعدل من جلستها على الفراش لتمسك بيدها الهاتف و تزيح بالأخرى شعرها الذي كان يغطي وجهها بالكامل كما كان حال تمارا من فيلم THE RING.
" أستاذة ناديا سامحيني، عارف الوقت متأخر بس ملقيتش غير حضرتك أكلمه. "
" خير يا عم رفعت قلقتني. عصام كويس؟ "
سكت قليلاً ثم بدأ يخبرها بما حدث لعصام أثناء طريق عودتهم من الساحل، لم تنتظر كثيراً بل قاطعت عم رفعت و أخبرته أن يظل بجواره و أنها في الطريق أليهم.
إرتدت سريعاً ملابسها في أقل من خمس دقائق و كان هذا طبعها، فلم تكن يوماً ممن يحتاج منهم قرار اللبس إلى إنشاء لجان إستشارية. فقط جينز و قميص فضفاض و في ظرف العشر دقائق كانت في سيارتها الكروز تاركة المهندسين إلى السادس من أكتوبر.
لم يكن قلقها عليه من باب الحب، فقليلاً من كانوا يدركون طبيعة العلاقة بينهم.
حين وصلت للمنزل و فتح لها عم رفعت الباب كان عصام جالس في الشرفة العلوية من فيلاته في كمباوند ماونتن فيو ينظر للشارع و يتمتم بكلمات في سره.
" أهو هو على الحال دا يا أستاذة ناديا من ساعت ما رجعنا من الساحل "
" طب معلش بس يا عم رفعت بالراحة كدا و فهمني في أيه اللي حصل "
بدأ يشرح لها ما حدث من لحظة تركهم للساحل الشمالي و تحركهم للقاهرة. عم رفعت كان سائق عصام الخاص و في نفس الوقت مدبر منزله، فكان لا يفارقه لحظة سواء في السيارة أو المنزل.
" إحنا كنا ماشيين في طريق العالمين الساعة حوالي ٨ بالليل، و بعدين أستاذ عصام سرح كدا في خسوف القمر اللي كان قدامنا. بصراحة يا أستاذة هو المنظر كان يستاهل. مكنش في غيرنا في الطريق و الدنيا زي ما حضرتك عارفا بتبقى كحل، و القمر كان بدر كبير بس لونه أحمر، مش أحمر دم بس كأن حضرتك ماسكة طرحة حمرا و بتبصي منها. المهم طلب مني أوقف العربية و فعلاً حصل، و نزل قعد يتفرج شوية، و أول ما ركب العربية قعد يتمتم بشوية كلام كدا ملوش معنى. مرة يقول أنا كاتب عالمي و مرة يدعي على واحد أسمه سعيد و مرة جاب سيرة واحدة إسمها ميار. بعدين نام مرة واحدة و محبيتش أصحيه إلا لما نوصل، و بدأت المشكلة "
قالها عم سعيد و سحب نفس من سيجارته و أكمل
"لما وصلنا و صحيته، قعد متنح في المكان و فيا، قعد مصر إن دا مش بيته و أنه ميعرفنيش. بالظبط كدا قعد يقولي أنا عارف إني معرفكش يا عم رفعت و عارف أن البيت اللي مفتاحه في جيبي دا مش بيتي بس عارفه " ثم سحب نفس آخر من السيجارة " عارفة يا أستاذة، لو مكنتش معاه طول الوقت من الصبح كنت قلت أنه مبلبع حاجة ولا لبسه جن. أنا حظرته والله يا أستاذة من أنه يبص للقمر كل دا و هو في اللون دا، اللهم أحفظنا بيكون في جن مسيطر على القمر، بس هو كان مركز قوي معاه كأن النداها نادهاه كدا. "
لم تستطيع منع إبتسامة من أن ترتسم على وجهها الصغير و هي تنظر له و تؤكد إن مفيش جن راكبه و النداهة مندهتوش، مؤكدة أن ما حدث بالتأكيد مجرد توتر بسبب ذكرا وفاة والديه. ثم أنها قامت و ذهبت للشرفة لتتحدث مع عصام.

"عصام حبيبي إنت كويس؟ عم رفعت بيقول إن راكبك جن " و فلتت منها ضحكة كانت تعلم بأن سيقابلها ضحكة منه، حتى حين كانوا متزوجين كانت تعلم كيف تجعله يضحك و إن لم يرغب في ذلك، فقط بإستخدام ضحكتها.

" ناديا، هتصدقيني لو قلتلك إني عارفك كويس جداً "

" ما هي تبقى مصيبة لو كش عارفني كويس، أمال انا كنت متجوزة مين سنتين يا أهبل "

" يا أمي أسمعيني، أنا عارفك كويس جداً و عارف إننا كنا متجوزين، بس في نفس الوقت حاسس كإن مش أنا اللي عارف؟ ناديا أنا حاسس زي اللي بيخرج من حلم لحلم، بغير مشاهد كدا أو جوا فيلم بالـVR و الثابت الوحيد بين كل دا هو إسمي. فاهما حاجة؟ أنا إمبارح أو النهاردة فعلاً مش عارف يعني، بس كنت في مكان تاني خالص بجسم تاني مختلف شوية، عضلات بقى و بتا ع. و كان معايا واحدة مراتي كدا برضه أسمها ميار، و دلوقتي أهو أنا في مكان تاني و مع ناس تانية و برضه عارفهم جداً و برضه كنتي مراتي و أنا عارف دا بس كأنها ذكريات حد تاني مش ذكرياتي أنا. فاهمة حاجة؟ " قالها و غرق في الصمت و هو ينتظر رد منها يفسر له ما يحدث له.

نظرت له ناديا مطولاً ثم قالت " "حبيبي، انت بس شكلك تعبان قوي، و وانت نايم شكلك كنت بتحلم حلم لخبطك شوية، و متنساش النهاردة أيه و القمر إزاي و كمان التاريخ، و انت عارف تأثير دا عليك اوقات بيبقى عامل ازاي. و بعدين.... "

قاطعها بكل حزم هذة المرة و صرخ فيها و قد بدأ حبينه يعرق بشدة

" هو في أيه يا ولا ال..... هو كلكم حافظيين نفس الجملة؟ ماله أم القمر بيا في يومكم دا. برضه اللي أسمها أيه دي قالتلي نفس الكلمتين دول بالظبط. سبحان الله هو أنا شرط ليال علشان اتجوز تكونوا حافظين النشيد؟ و بعدين هو النهاردة يوم أيه يا .... " سكت قليلاً ثم عاد من جديد

" يا ناديا، النهاردة يوم أيه؟ "

" أولاً النهاردة يوم ١١/٩ يا عصام، ثانياً مش مشكلتي حضرتك بتنيل أيه أمتى. " قالتها بعصبية شديدة

" و سامحني إني نازلة و سايبة بيتي الساعة ١٢ بليل علشان أطمن عليك. و عامة هو أكيد حلم، علشان ميار دي أنت مكلمتهاش من قبل جوازنا بحبة حلويين، انت كنت حاكيلي عنها زمان إنكم كنتم متصاحبين و سيبتو بعض و إن أنت اللي سيبتها علشان بطلت تحبها."

نظر لها و أمسك يدها و إعتذر عن ما بدر منه لكنه في أغرب حيرة في التاريخ، لا يعلم هل هو في حلم أم واقع أم هلاوس.

" عصام، أنت واضح إن أعصابك تعبانة. مش عارفة بقى حالة نفسية ولا شربت حاجة ولا أيه. بس أنت محتاج تنام كويس... "

تركته ناديا بعد أن طبعت قبلة صغيرة على رأسه، تاركة معه حيرة أكبر مما كان عليه قبل مجيئها.

" يعني ميار دي بجد؟ أو مش بجد بس حلم و ناديا اللي في الحلم دي بجد؟ و ناديا لو بجد أبقى أنا أنهي عصام فيهم؟ الأقرع أبو عضلات ولا دا؟ ولا أيه؟ " ظل يحدث نفسه مثل المجنون حتى أتاه عم رفعت بكوب من الليمون...

" إشرب الليمون و نام يا أستاذ عصام، نام و أستريح، و بكرا الدورة الثلاثية دي هتختفي "

تسمر عصام مكانه و نظر لعم رفعت " بكرا أيه؟ "

" بكرا الحالة النفسية هتختفي "
" لأ انت مقولتش كدا، الثلاثية أيه الثلاثية دي؟؟؟ "
و قبل أن يجيب كان الهاتف يرن...
" أستاذ عصام، أستاذ سعيد على التليفون "
توقف عصام عن حساب عدد المرات التي توقف فيها الدم بعروقه منذ بدأ الأمر كله.
مد يده للهاتف و هو في حالة ثبات تام، لا يحرك إلا يده و وجهه موجه للقمر
" أيوة؟ "
" أيوة؟ أنت كويس يا عصام؟ ناديا لسا قافلة معايا دلوقتي، انت بخير؟ "
لم يجيبه
" هي حكيتلي على اللي حصل، أنا جايلك دلوقتي يا عصام، بس لحد ما أجي يا عصام، أنت كويس و مفيكش حاجة. لو فعلاً اللي أتحكالي صح متخافش، هي ليلة و هتعدي. بكرا الدورة الثلاثية هتعدي"
"سعيد، الجملة دي سمعتها من شوية برضه. هو أنا فيا حاجة؟ "
" لأ خالص... أنت ريح بس لحد ما أجيلك "
و قد كان، ما أن أغمض عينه حتى وجد نفسه في نفس الفضاء السابق، نفس السواد و نفس كل شيء إلا شيء واحد. لم يكن هناك ١١ باباً مثل المرة السابقة، بل كان فقط باب واحد و من خلفه نفس القمر الدامي. هذه المرة لو يتردد كثيراً، مد يده و فتح الباب، و سقط....

بعد ذلك بعدة ساعات

سعيد: " فاكر إحساسك زمان و انت عيل بإنك بتحلم و بتصحى من الحلم جوا حلم تاني؟ "
سألها عصام لسعيد، و دون إنتظار الإجابة بدأ يكمل كلامه.
عصام: " أهو هو دا بقى اللي كنت حاسس بيه... سعيد، هو انت عرفت منين إني هكلمك تيجيلي؟؟ "
لم يرتبك سعيد أو يجاوب، فقط إكتفى بأبتسامة و طلب من عصام أن يروي عليه ما حدث بعد ثاني ليلة.

عصام: "مفيش، زي ما حكيتلك، المرة دي كان باب واحد بس اللي موجود أصلاً مش ١١ زي المرة اللي فاتت. بمجرد ما فتحته السواد اللي جواه شدني و القمر اللي كان ورا الباب إختفى تماماً. صحيت هنا، و حاسس أن كل اللي حصل دا كان حلم، و في نفس الوقت أنا إحساسي بيه والله ما كان حلم. المشكلة إنك بتقولي النهاردة لسا ١١/٩ و دا يأكد إنه كان حلم "
نظر له سعيد دون أن يبدي على وجهه أي علامات، و سأاله إن كان يتذكر كيف عاد من على الطريق الدائري حيث توقف أول مرة لمشاهدة القمر.
عصام: " حقيقي مش فاكر، وحياة أمك يا سعيد لو كان دا مقلب من مقالبك و حطيت ليا حاجة من بتوع الهلاوس علشان تشتغلني بجد هتزعل "
ضحك سعيد بشدة حتى كاد يسقط من على كرسيه و أكد أن عصام نفسه يعلم جيداً أنه لم يمس أي من تلك المواد المخدرة طوال حياته.
عصام: "سعيد، هو ليه إنت الوحيد اللي ظهرت ليا في الحلم دا؟ يعني علشان كلامك عن الهجص بتاع القمر دا مثلاً؟ "
سعيد: " تاني هتقول هجص، طيب. إنت مش فاكر أي حاجة عن المواضيع دي؟ عن ناديا و ميار و الكتابة؟ مش فاكر أي حاجة؟ "
إمتدت يد عصام حذائه ليلقيه عليه فعلياً و ليس من باب المناوشة
عصام: " ما أنا حكيت لمعاليك كل حاجة "
سعيد: " عصام، فاكر أول يوم إتقابلنا فيه؟ "
عصام: " معرفة غم، أصلاً كنا في حضانة و العيال كانوا بيضربوك و لما جيت أدافع عنك ضربوني و إنت كنت بتضرب معاهم، حيوان من يومك "
سعيد: " فاكر بقى مين اللي حاشت عنك؟ و قعدتوا صحاب طول فترة الحضانة؟ "
سكت قليلاً ثم فتح فمه من الدهشة و هو ينظر لسعيد
عصام: " يا إبن اللذينا، ميار... كان إسمها ميار صح "
سعيد: " ميار سابت المدرسة بعدها شوية و إتقابلتم تاني في خروجة مع صحاب مشتركين صح؟ يومها حتى أنا منتش قادر أنزل علشان كنت عيان، و إنت جيت حكيتلي عن لقائكم دا و فرحتك إنك شفتها. فاكر أصلاً؟ "
إسترجع المشهد سريعاً، كان الإمر منذ حوالي العشر سنوات، بعد تخرجه مباشرة كانا مع العديد من الأصدقاء في مطعم فخم و حين بدأوا بتعريف بعضهم و أخبرهم أن اسمه عصام حداد إلتفتت اليه ميار سريعاً و هي تتفحص وجهه
ميار: " عصام حداد الأسيوطي؟ عصام مدرسة مصر للغات؟ "

نظر لها و تأملها دون تذكر من هي حتى أخبرته هي
عصام: " يا بنت اللذينة، يخرب بيتك كبرتي و أحلويـ لأ بصراحة انتي حلوة من يومك "
أكمل سعيد الحديث مع عصام الذي كان كالذي يشاهد شريط سينمائي
سعيد: " فضلتوا بعد كدا شوية صحاب و بعدين لما انت حسيت بحاجة تراجعت بسرعة و مسحتها تماماً من حياتك... "
عصام: " طيب هنقول إن عقلي الباطن إسترجعها، رغم إني أصلاً معرفش انا ازاي نسيتها. طيب مين بقى....لأ لحظة واحدة.. هو في كدا؟ "
أرسمت و على وجهه إبتسامة نصر لا تليق بالوقف نهائياً فعرف سعيد أنه تذكر ناديا من نفسه
عصام: " ناديا دي ناديا؟ بتاعة اليوجا؟ ناديا؟ "
سعيد: " حسب وصفك لشكلها كدا، هي أه. متنساش إن ناديا ظهرت في حياتك بعد حوار ميار دا بحوالي سنتين، و يمكن برضه مكملش علشان حضرتك قفلت "

مرت لحظات صمت كان يحاول فيها عصام جمع أفكاره و ترتيبهم...
إيه اللي جابهم على بالي دلوقتي؟ و إزاي أصلاً نسيتهم؟ طيب ليه الأتنين دول بالذات؟ أسئلة كثيرة و لا يمتلك عصام رد على أي سؤال منهم... حتى قطع فترة الصمت
عصام: " سعيد، تفسيرك للحلم دا أيه؟ "
سعيد: " أنت مين قالك أنه كان حلم؟ "
عصام: " نعم؟؟!! "
سعيد: " أيوة مين قالك أنه كان حلم؟ بص يا عصام مستعد تسمع منغير تريقة؟ ولا هبقى بضيع وقتي ؟"
نظر له عصام بأنه سيحاول
سعيد: " والله أخلي الأسياد يجننوك "
عصام: " سعيد وحياة أمك مش ناقصة هي، فهمني أيه دا؟ "
سعيد: "خلاص يا سيدي، بص يا عصام. إنت أكتر حد متردد و جبان شفته في حياتي، يعني ممكن تبتدي مشروع و تخرج من أوله عادي علشان خفت أو يوم خسرت. إنت يا أبني أخر مرة لعبت معانا بلاي ستيشن سيبت الدراع بعد دقايق علشان حسيت إنك هتتغلب... فرص كتير سيبتها علشان أسباب تافهة. "
رفع نظره ليجد عصام لأول مرة يستمع بجد دون سخرية، فعدل من وضعه و أخذ يتحدث بثقة أكبر
سعيد: "كل اختيار و كل فرصة بتعدي علنا بيبقى في بعدها (لو كنت عملت كذا)، اللي حصلك دا ببساطة هو ال(لو) دا. "
عصام: "مش فاهم "
سعيد: "طيب، بالراحة كدا، الليلة الأولى دي كانت لو كنت مشيت في موضوع ميار كان حالك هيكون أيه و الليلة التانية كانت لو مشيت في موضوع ناديا. "
عصام: " و دا أيه إن شاء الله، عقل باطن بيهرج يعني؟ "
سعيد: " دا مش حلم يا عصام ولا خيال عقلك الباطن، إمسك أعصابك كدا و ركز معايا. دا.... مش عارف أفهمهالك إزاي، دا بعد تاني. مع كل قرار مصيري بيحصل في حياتنا بيتكون حياة موازية لو

كنت أخدت الخيار التاني. أنت حقيقي أتنقلت بوعيك الحالي في بعد تاني، مرتين كمان مش مرة ، كام ساعة مش كتير بس دا حصل و دا بسبب قوة القمر المرة دي. بص يا عصام، الحقيقي إن محدش قدر يفهم حقيقة بوابة ١١:١١ ولا الأبعاد، بس الواضح إن وعيك أتنقل في لحظة معينة لحالة موازية و شفت نفسك التانية من الآخر. عارف إن الكلام دا مش منطقي أو صعب فهمه، بس هو دا واقع، كتير ناس حصلهم دا، بس فسروه على أنه حلم أو رؤيا أو حتى ديجافو، و دا لعدم إيمانهم بالموضوع من أساسه، و طبيعة عقلنا البشري لازم تلاقي تفسيرات منطقية للحجات اللي مش طبيعية اللي بتحصل حوالينا. يعني مثلاً في حالتك دي، في اللي هيقولك دا حلم، كابوس، عقلك الباطن معرفش أيه. "

عصام: "يعني أنا كنت في مكان تاني؟ يعني دلوقتي حالاً في عصام تاني شكله مختلف جسدياً عايش برضه؟ طيب هو كان فين وقتها؟ طيب ليه انت بس الحد اللي ظهر لي و مستغربتش اني عارفه؟ و ليه محدش غيرك من حياتي دي زي ما بتسميها ظهرلي"

سعيد: "بص هو الموضوع مش كدا بالظبط، تاني محدش عاش في البعد التاني دا علشان يجي يحكي، كل اللي بيحصل هي لمحات، زي اللي حصلك كدا. و بالتالي محدش يعرف هو الشخص الآخر دا موجود فعلاً ولا لأ، رأيي الشخصي هو بعد بيتم تفعيله لما البوابة بتتفتح، و على أساس طبيعة نوعية إختياراتك حياتك بتكمل لحد النقطة اللي هتبدأ منها. أنت عارف تفاصيل حياة الأبعاد التانية دي منين دا بكل بساطة علشان وعيك في اللحظات دي كان مدموج في وعي الآخر. يعني الشخص التاني دا عايش بحاجة زي الAuto Pilot بيكمل بالحياة دي لحد ما حضرتك شرفتها اللحظات دي. "

سكت عصام، و ظلت عينيه معلقتان عليه...

سعيد: " أما عن أنت عارفني أنا بس منين، دا علشان كل اللحظات الفارقة دي جت بعد معرفتي بيك، يعني هكون موجود فيها دا طبيعي. و موضوع هما كانوا ليه ١١ باب بس ليه مش أكتر أو أقل دي معنديش رد عليها، غير انهم كانوا عدد ١١ و دا أصلاً المفتاح "

عصام: " طيب و امكان اللي الأبواب دي كانت فيه؟ "

سعيد: " معنديش رد مناسب صدقني، بس إعتبره الTerminal، المحطة... "

لم يحرك عصام عينه من على سعيد و لم يجبه، فقط سرح عقله في كل ما مر به و كل ما قاله سعيد.

" هو يا كلام الواد دا صح، يا هو إتجنن و جنني معاه " كان يحدث بها عصام نفسه. إستقر عقله على تقبل إحتمالية ان يكون بالفعل مر بعدة أبعاد و ان تكون ١١:١١ و القمر قد أتاحا الفرصة لتلك البوابة لكن المشكلة تكمن في، متى و كيف يتم إختيار من يعبر تلك البوابة...

لم تمر ثواني حتى كان شخص يقدم لهم الشاي.

" شكرا يا عم رفعت، سهرناك النهاردة معلش... " سكت قليلاً ثم نظر من جديد له

" عم رفعت؟ نعم؟؟؟!!! "

عم رفعت: " هانت يا أستاذ عصام، الدورة الثلاثية بتخلص..."

تمت